غرفة المعلّمين

"قوم من محلّي لو سمحت! " وجه حديثه إليّ بصورة حازمة وهو يرمقني بنظرةٍ أفقدتني توازني كأنني اقترفت جريمة لا تغتفر. اذكر هذه الحادثة جيدًا عندما أتيت للعمل كمعلم جديد شاب، وقمت بالجلوس على أحد المقاعد في غرفة المعلّمين. قالها لي أحد المعلّمين القدماء كبار السن، والذي فهمت لاحقًا أنه من المعلّمين المؤثرين في غرفة المعلّمين. نظرت حولي مُستنجدًا ببعض المعلّمين الذين نظروا إليّ باستهجان، وأشار لي أحدهم إلى مقعدٍ جانبي في غرفة المعلّمين: " اجلس هنا " قالها واستمر في تصحيح دفتر لأحد الطلّاب.

يعتقد معظم الناس أنَّ الصفوف هي الأماكن التي تعتبر ساحة الأحداث في المدرسة. ولكن غرفة المعلّمين هي مكان لا يقل أهميّة من غرفة الصف. تعتبر غرفة المعلّمين من أهم الأماكن في المدرسة، والبعض يعتبرها الأهم. غرفة المعلّمين هي عبارة عن ظاهرة ومكان مُثير. رغم أنَّ المعلّمين يقضون معظمهم وقتهم في الصفوف مع الطلّاب إلّا أنّ غرفة المعلّمين هي المكان الذي تحدث به الكثير من الأحداث، وما يُسمّيه البعض " الأكشن " في المدرسة. إنّ مجرد التمعّن لدقائق قليلة بما يحدث في غرفة المعلّمين، فإننا نستطيع أن نتعلم كثيرًا عمّا يدور في المدرسة، عن ثقافة المدرسة وعاداتها وبالطبع عن معلّميها وطاقمها.

كل كرسي وكل طاولة في غرفة المعلّمين لها مدلولها ومركزها كما هو الأمر لمن يجلس عليها أو خلفها.

باعتقادي أن تجربتي كمعلم جديد في غرفة المعلّمين، حددت بشكل كبير نظرتي المستقبليّة للعمليّة التعليميّة التربويّة ككل. نحن كطلاب اعتبرنا غرفة المعلم عبارة عن قدس الأقداس، ممنوع دخولها بدون سبب حيث كانت لها هيبة ورهبة جديرة بالاحترام والتقدير.

- غرفة المعلّمين هي المكان الذي يلتقي به المعلّمون دون الادارة ودون الطلّاب، هي المكان الذي يحدث به التفاعل بين أعضاء الهيئة التدريسيّة أي المعلمين ولو لبضع دقائق قبل أن يدخل المعلمون إلى صفوفهم.

صحيح أنَّ مكان العمل الحقيقي للمعلم هو غرفة الصف مع الطلّاب، حيث يلعب المعلم الدور الرئيسي (أو كما يصفه البعض أنه المخرج وطلابه هم الممثلون) من هذا المنطلق يمكننا أن نعتبر غرفة المعلّمين أنها قاعة البروفات أو وراء الكواليس حيث يستعد المعلّم بها للصعود إلى المنصّة لأداء دوره – الدرس.

- غرفة المعلّمين هي المكان الذي يعرض به المعلمون أعمالهم، نجاحاتهم واحباطاتهم أيضًا. هذا هو المكان الذي يتبادل به المعلّمون الشباب المشورة والنصيحة مع المعلّمين المجرّبين، به يتبادلون المواد الدراسيّة ويتلقون الدعم والنصائح.

في هذه الغرفة نجد بعض المعلّمين الذين يتباهون بانجازاتهم وانجازات طلّابهم، خريجيهم أو المواد التي يقومون بتعليمها. في غرفة المعلّمين يستطيع المعلّم أن يختار الكشف عمّا حدث معه في الصف وكيفيّة عرض الاحداث خلال الحصص.

هناك أهميّة كبيرة لأقوال المعلّم في غرفة المعلّمين بالنسبة للمعلّمين الآخرين. قد يرى البعض بذلك نوعًا من المنافسة، مفاخرة أو قد يرى البعض بذلك محاولة لاشراكهم تجاربه: في الوقت الذي يرى بعض المعلمين بذلك نوعًا من المنافسة بين المعلّمين الذين يعلمون الموضوع الواحد وأيضًا مع المعلّمين الذين يعلّمون المواضيع المختلفة.

إنَّ المعلّمين بطبيعتهم يميلون إلى مشاركة تجاربهم مع معلّمين آخرين. عندما يشعر المعلّم أنَّ غرفة المعلّمين هي مكان مريح وآمن وبالإمكان أن يعبّر فيه عن رأيه ومشاعره والمصاعب التي يواجهها والتحديّات التي تقف أمامه في عمله. هذه المشاركة مع المعلّمين الآخرين بإمكانها تكوين مجموعة من المعلّمين ذات خبرة ومعلومات ضروريّة لعمل المعلّم.

المنافسة

غرفة المعلّمين هي المكان الذي تجري به المنافسة بين المعلّمين على الصدارة والمراكز المتقدمة في الترتيب الداخلي لغرفة المعلّمين وعلى الوظائف المختلفة الموجودة في المدرسة. هذه المنافسة تكون على الأغلب خفيّة، ونتائج هذه المنافسة هي التي تحدد ما يجري في غرفة المعلّمين وتعيّن القيّم التي حسبها يتصرف المعلمون. المعلم الذي يغادر غرفة المعلّمين بعد الاستراحة ويتجه إلى الصف قد يعتبره المعلّمون جبانًا أو مجتهدًا. المعلّم الذي يدخل إلى غرفة المعلّمين وهو يصرخ ويشتم بعد أن تمّ تغيير البرنامج بصورة فجائية أو تهجّم أحد الطلّاب عليه، قد يحظى بتأييد ودعم المعلّمين أو قد يحظى بالتجاهل وحتى بالاستهتار.

إنَّ تعامل كل معلّم تجاه الأحداث المختلفة يقوي المعايير والقيم المتواجدة في غرفة المعلّمين والتي يستطيع بواسطتها أن يكون تابعًا لمجموعة معيّنة ومدعومًا من قبلها، لذا عليه أن يتبع القيم والمعايير التي تميّزها. على سبيل المثال: معلمو الدين أو الرياضيات يشكلون مجموعة معيّنة، المعلّمون الشباب هم أيضًا مجموعة، كبار السّن والقدماء مجموعة أُخرى النساء والأشخاص القادمون من منطقة جغرافيّة أو سكنيّة معيّنة يشكلون مجموعة، المتديّنون المحافظون هم أيضًا لديهم مجموعة منفردة. باختصار بإمكاننا أن نقول أن غرفة المعلّمين تمثل التركيبة الاجتماعيّة في المجتمع الكبير. هذا التفكير بإمكانه أن يحظى بالتجاهل من قبل المعلّمين ولكن بإمكانه أيضًا أن يؤدي إلى عزل بعض المعلّمين واهمالهم وقد يؤدي أيضًا إلى وجود ما يسمّى " بالتحزّبات " أو المعسكرات.

يمكننا أن نرى منافسة بين المعلّمين الشباب والمعلّمين كبار السنّ أو القدماء، بين المعلّمين الذين يعلّمون مواضيع مشابهة أو مواضيع مختلفة. منافسة بين المعلّمين الذين يحملون فكرًا تربويًا معينًا مقابل معلمين يؤمنون باتجاه مغاير. قد يحدث في كثير من الأحيان أن نسمع جدلًا بين معلّم معيّن وآخر حول طالب من الطلّاب وسرعان ما يحتدم الجدال حتى يصبح صراخًا، حيث يعلم الجميع أنَّ الطالب هو آخر ما يقلق المعلمين.

المنافسة بين المعلّمين قد تحدث حول كل شيء- من علامات الطلّاب، انهاء المادة، مشاكل الانضباط، محبّة الطلّاب أو حتى على الحصول على وظائف ومهام في المدرسة مثل تربيّة الصف أو التركيز أو حتى على محبّة واهتمام مدير المدرسة.

" احذروا المدير على الباب "

إحدى الظواهر المهمّة هي دخول مدير المدرسة إلى غرفة المعلّمين. طبعًا الأمر يختلف من مدرسة إلى مدرسة ولكن ممّا لاشك فيه أنَّ دخول المدير يؤدي إلى حدوث تغيير معيّن في غرفة المعلّمين. البعض يرى أنّ غرفة المعلمين هي منطقة الحرام والتي تخص المعلّمين فقط ودخول المدير هو عبارة عن خرق واختراق لهذه المنطقة. البعض يرى أنّ المدير هو مجرد زميل لهم قلّما يدخل إلى الغرفة والأمر لا يؤثر عليهم بتاتًا بل

أنهم يستغلّون الفرصة لإثارة انطباعه حيث ينشغلون بالتحضير وتصحيح الدفاتر والأوراق، أو للتحدث معه وتحيته ومحاولة التقرب منه.

ممّا لاشك فيه أنّ الجو يتغيّر أو " يتكهرب " عند دخول أي شخصيّة لها تأثير، حتى لو لم يكن التأثير فوريًا. هذا الدخول قد يؤثر على ميزان القوى داخل المجموعات المتواجدة في غرفة المعلّمين. دخول المدير إلى غرفة المعلّمين مماثل لدخول المعلّم إلى الصف طبعًا يتعلّق الأمر بشخصيّة المدير أو المعلّم. مثال على التغيير الذي يحدث: بعض المعلّمين يغادرون غرفة المعلّمين بأي حجة كانت. البعض الآخر يوقفون النقاش الذي كان دائرًا قبل دخوله خاصة اذا كان نقاشًا أو نقدًا لسياسة مدير المدرسة ويقوم المعلّمون بتغيير الموضوع، البعض الآخر يُشغل نفسه بالتصحيح والتحضير بعيدًا عن أعين المدير المتفحّصة للوجوه – طبعًا لا ننسى دخول المدير بهدف حث المعلمين إلى الخروج إلى الصفوف أو إلى المناوبة. ممّا لا شك فيه أنه تتواجد في كل غرفة معلّمين مجموعتان:

1. جماعة المدير.
2. الجماعة المعارضة.

وهناك بالطبع جمهور المتفرّجين الذين يتأرجحون بين المجموعتين. هناك صراع دائم بين هاتين المجموعتين يكون مركزها غرفة المعلّمين. هنا أريد أن اعترف أنني عندما كُنت مديرًا تعمّدت الجلوس مطوّلًا بغرفة المعلّمين وذلك لدعم المجموعة التي كانت تؤيدني ولدفع المجموعة الأخرى إلى الصمت أو السكوت أو حتى مغادرة الغرفة.

من مراكز القوى المهمّة وذات التأثير الكبير تتمثل **بلجنة المعّلمين** حيث تتمركز القوى الفاعلة داخل غرفة المعلّمين.

الحقيقة يطول الحديث عن الأمور والصراعات والتنافسات داخل غرفة المعلّمين بدءًا من انتخاب اعضاء اللجنة وحتى الشاي والقهوة.

لا ننسى أنّ غرفة المعلّمين هي المكان الذي يظهر به المعلّمون احباطاتهم بمواضيع مختلفة مثل: الأجرة وظروف العمل، انجازات نقابات المعلّمين، الاصلاحات في التعليم، انهاء المادة، الامتحانات، عدم الانضباط في الصفوف، الغيابات، سوء سلوك الطلّاب، انعدام وجود الدعم من الادارة، نقص المعدّات والساعات، شكاوي الأهل وغيرها من الأمور.

اذا طلبت من المعلّمين أن يصفوا غرفة المعلّمين فإنهم يصفونها بأنّها: المصنع، غرفة العمليّات، المنحلة، الغابة، غرفة العمل وغيرها. كل معلم يشعر شعورًا مختلفًا تجاه غرفة المعلّمين ويصف شعورًا مغايرًا عندما يكون داخل الغرفة. باستطاعتي أن أقول أنّ غرفة المعلّمين هي ليست المكان الذي يعمل به المعلّم كذلك هي ليست المكان الذي يرتاح به. هي ليست المكان المخصّص للمنافسات العلنيّة بين المعلّمين ولكن مليئة بالمنافسات الخفيّة. هي غرفة مليئة بالشكاوي، بالتذمرات، التعاون، الخلافات، الاطراءات وغيرها من الأمور.

بالطبع هناك شخصيّات مميّزة بكل غرفة معلّمين مثل المعلّم الدائم التذمّر من كل شيء، من البرنامج، من الطلّاب، من الأهل، من الادارة وحتى من الزوجة والأولاد. ولدينا المعلّم الملازم لغرفة المعلّمين والذي يرفض الخروج ومغادرة مكانه حتى لو حدثت هزّة أرضيّة.

وهناك المعلّم المرح الذي يملأ الجو بنكاته ويُضفي جو الفرح والسرور عند كلّ المعلّمين، وهناك المعلّم الدائم التحضير والانشغال، والمعلّم البخيل الذي يرفض دفع رسوم الشاي والقهوة بادعاء أنّه لا يشرب الشاي أو لا يشرب القهوة أو أنه دائم الصوم.

كذلك المعلّم الذي يرفض المشاركة بالمناسبات ودفع رسوم اللجنة بحجة أنَّ عيد ميلاده يصادف بالعطلة أو انه " بطّل يخلّف " وما إلى ذلك.

باختصار بإمكاننا القول أنّ غرفة المعلّمين هي القلب النابض لكل مدرسة حيث نجد بها كلّ الأشكال والألوان والأنواع.

نصائح للمعلّمين تخصّ التعامل بغرفة المعلّمين:

1. استغلوا وقت فراغكم بغرفة المعلّمين بالتحضير للدرس والفعاليات.
2. تشاوروا مع زملائكم بالمواضيع التي تشغلكم، وانصحوا زملاءكم بالأمور التي تهمهم.
3. اقرأوا كتابًا أو قصة لتحسين مزاجكم قبل او بعد الدخول إلى الصف الأمر سيمنحكم طاقات جديدة تستثمرونها لاستعادة قواكم ونشاطكم.

4. حاولوا الاسترخاء والهدوء وتجنّبوا الدخول إلى نقاشات عقيمة لا تفيد ولا تغني من جوع.
5. لا تكثروا من شرب الشاي او القهوة، اشربوا الماء لتشعروا بالانتعاش.

(اعرف أحد المعلّمين الذي كان يشرب 18 كوب شاي باليوم، نعم ثمانية عشر كوبًا).
6. تفادوا المأكولات الثقيلة التي تصيبكم بالخمول والتخمة، (يكثر أكل الحمص والفلافل في غرف المعلّمين).
7. النظافة النظافة، ثم النظافة. حافظوا على نظافة غرفة المعلمين، اذا اكلتم نظّفوا مكانكم اذا شربتم اشطفوا اكوابكم، الكثير من التوتر والنقاشات بين المعلمين تدور حول موضوع النظافة.
8. شاركوا زملاءكم بالاحتفالات والمناسبات الاجتماعيّة التي تعزّز من مركزكم في المدرسة وتحسّن من حالتكم النفسيّة.

9. لا تلازموا الجلوس في غرفة المعلّمين، اخرجوا إلى السّاحة خاصة بالأيام المشمسة. حرّكوا جسمكم واختلطوا مع طلّابكم بأجواء غير الرسميّة المتّبعة بالصفوف.
10. قلّلوا من التذمر والشكوى. اطرقوا باب مدير المدرسة أو أصحاب الوظائف وتحدثوا معهم بصراحة عند أيّ مشكلة تواجهونها.
11. لا تدخلوا بصراع علني مع أحد المعلّمين. لا تنجرّوا وراء الاستفزازات امتنعوا عن التحدث مع الأهل أو الطلّاب بصورة علنيّة. اجلسوا معهم بغرفة مستقلّة بعيدًا عن أنظار واسماع المعلّمين الآخرين.

12. حافظوا على سريّة المعلومات التي تسمعونها بغرفة المعلّمين، لا تتناقلوا الأحاديث ولا تنشروا الاشاعات كونوا ايجابيين.
13. اذا اردتم أو احتجتم شيئًا من زملائكم، اطلبوه منهم، لا تأخذوه بدون إذنهم، واهتمّوا بإرجاعه اليهم بعد الانتهاء من استعماله.
14. احتووا واستقبلوا المعلمين الجدد، ولا تنسوا أنكم كنتم مثلهم في يوم من الأيام.

نصائح لمديري المدارس حول غرفة المعلمين:

1. اعتنوا بالجانب الفيزيائي لغرفة المعلّمين. وفّروا وسائل الراحة للطاقم من كراسي وطاولات وخزائن. لا تبخلوا عليهم بالأمور الأساسيّة من أثاث ومعدّات.
2. خصّصوا ميزانيّة لدعم احتياجات غرفة المعلّمين. الكلّ يعلم أنَّ الموارد المخصّصة للمعلّمين من الوزارة أو البلديّة قليلة وعليه حبّذا لو حظي المعلمون بدعمكم. استثماركم بالمعلّمين سيعود عليكم بالفائدة المضاعفة.

3. شاركوا المعلّمين بمناسباتهم وأعياد ميلادهم، كونوا جزءًا من الطاقم، لا تتعالوا عليهم، اجلسوا معهم بغرفة المعلّمين بين الفينة والأخرى. استمعوا لمشاكلهم واحباطاتهم ولا تنسوا أنّكم كنتم في يوم من الأيام جزءًا منهم.
4. اعزموا المعلّمين لوجبة افطار في الأيام التي لا يتواجد بها الطلّاب بالمدرسة. لن يستجيب كلّ المعلّمين لكن الأغلبيّة سيفعلون.
5. " الفراغ مفسدة ". لا تجعلوا المعلّم يجلس طويلًا في غرفة المعلّمين بدون عمل بسبب الفراغات في البرنامج. اذا لم يجد المعلّم ما يلتهي به فإنه سيلتهي بكم.
6. اخرجوا المعلّمين لرحلة في فصل الربيع واخرجوا معهم. أزيلوا الحواجز ليوم واحد، تصوروا معهم، كلوا معهم ارقصوا وغنّوا.

7. تواصلوا مع المعلّمين خلال العطل والاجازات، ليس بأمور العمل إنّما لمجرد السؤال عنهم والاطمئنان عليهم وعلى عائلاتهم، اسألوهم عن ابنائهم، ابدوا اهتمامًا فإن ذلك سيفرحهم ويسرّهم.
8. ساعدوهم أمام الموظّفين والمسؤولين بالوزارة أو البلديّة فإنهم سيقدرون ذلك ولن ينسوه لكم.
9. لا تدخلوا بصراعات مع معلّم معيّن أمام المعلّمين الآخرين في غرفة المعلّمين. افعلوا ذلك في مكتبكم حفاظًا لكرامته وكبريائه.
10. لا تنسوا أنّ غرفة المعلّمين مخصّصة لراحة المعلّمين لذا لا تعقدوا اجتماعاتكم بغرفة المعلّمين ولا تستقبلوا ضيوفكم بها.
11. ادعموا لجنة المعلّمين ماديًا ومعنويًا. لا تحاولوا افشال مبادراتهم بل العكس. كونوا جزءًا منهم. صلّحوا لهم الأجهزة اذا تعطّلت، ثلاجة، ميكرو، سخّان، اشتروا لهم ماكنة قهوة بادروا بالاهتمام بهم.

12. اذا خرج معلّم أو معلّمة للتقاعد أو انتقل إلى مدرسة أخرى، اعملوا له حفلة، بغض النظر عن انجازاته أو جودة عمله. تذكّروا أنّ هذا ما سيذكره المعلّم كآخر شيء له في المدرسة. تذكّروا أنه في يوم من الأيام سيأتي دوركم وتخرجون للتقاعد وسيكون هؤلاء من يحتفي بكم ويكرّمكم بالإضافة إلى المعلّمين المتقاعدين. لا تنسوا المتقاعدين حتى لا ينساكم القادمون بعدكم.

أرجو لكم كل الخير

أ.أيمن جبارة